مجلة العلوم
الاجتماعية والإنسانية



جامعة محمد بوضياف
بالمسيلة

AR	الطوطمية بين السحر والدين في عصور ما قبل التاريخ بأفريقيا
ENG	Totem between magic and religion in Africa during prehistoric periods.
FR	Totemisme entre magie et religion à l'époque préhistorique en Afrique

د/ زينب عبد التواب رياض خميس
جامعة أسوان مصر
Nfrtkmt77@yahoo.com
Zainab abd El-twab Riyad khamiss
Aswan university
Egypt

تاريخ القبول للنشر	تاريخ المراجعة	تاريخ الارسال
2018/07/09	2018/04/18	2018/02/09

الملخص

تعد إفريقيا بمثابة متحف حى مفتوح الأرجاء، نرى فيه حياة انسان عصور ما قبل التاريخ رؤية العين بعدما كنا نعتمد فقط فى فهمها ودراستها على الاستقراء، فلازالت هناك العديد من القبائل الأفريقية تعيش حياة الإنسان البدائى بكل بساطتها ومعتقداتها وبكل مفرداتها التى كنا قبل ذلك نعتبرها من الأمور المعقدة التى يصعب تفسيرها، الا أن تلك القبائل أعادت الينا الماضى البعيد، فأصبحنا نرى ماضينا ونحيا حاضرنا من خلال دراسة تلك القبائل البدائية. وتعد الطوطمية واحدة من المعتقدات الدينية ذات المردود الدينى والاجتماعى، والتى سادت لدى العديد من القبائل الأفريقية وارتبطت فى طياتها بممارسات عدة سحرية وروحانية وطقسية، وكان للطوطم فى ذلك حقوق وواجبات على المنتسبين اليه، وإطار يجمع كل طوطم بعشيرته أو قبيلته التى تنتمى اليه. ولقد ارتبطت الطوطمية الأفريقية بالوشم وبعمل العديد العلامات الجسدية كالخدش والفصد وهى ممارسات تقوم بها بعض القبائل لتتحول أجسادهم بتلك العلامات الى شبيه الطوطم الذى يبغونه وذلك إما بعمل رسمه على الجسد، أو بعمل رموز لها إيحاء طوطمى يجمع أفراد العشيرة الواحدة معاً.

Résumé

L'Afrique est un musée à ciel ouvert dans lequel on voit la vie d'un être humain préhistorique. Il y a encore beaucoup de tribus africaines vivant dans la vie humaine primitive avec toute sa simplicité et ses croyances et tout son vocabulaire que nous considérons avant complexes et difficiles à interpréter, mais ces tribus nous sont revenus dans le passé lointain, nous voyons donc notre passé et nous vivons notre présent à travers l'étude de ces tribus primitives. Le totem est l'une des croyances religieuses avec des avantages religieux et sociaux, qui a prévalu dans de nombreuses tribus africaines et a été associée à plusieurs pratiques magiques, spirituelles et rituelles. Le totem avait des droits et des devoirs de ses membres, et un cadre qui moissonnait chaque totem avec son clan ou sa tribu. Le totem africain a été associé avec des tatouages et le travail des nombreux signes physiques tels que le grattage et la rouille, qui sont pratiquées

par certaines tribus pour transformer leur corps en signes semblables au totem qu'ils désirent, soit per la peinture sur le corps ou par créer des symboles qui ont un motif totémiste qui rassemble les membres d'une tribu. Le mot totem a été prise de Ajibua, une langue Ghoneic parlée par les Indiens des Grands Lacs d'Amérique du Nord et introduit à l'Ouest, comme Jalong mentionné, il est utilisé dans le sens d'une relation sociale "étroite ou d'amitié" entre deux personnes. Il y a quelques groupes d'Alajiboa organisés dans les clans de mariage de pedigree et de mariage extraconjugal, et chaque tribu prend un titre dérivé d'une des factions animales.

Totem est le premier père du clan, le protecteur de l'âme et nommé ... héritée per la mère ou par le père, le premier est authentique et a terminé deuxième, appartiennent au totem ci-dessus appartenance tribale et au-dessus de l'association de sang. Le totémisme est l'état dans lequel les symboles païens sont utilisés pour classer les groupes sociaux les uns des autres.

Abridged summary:

Africa is an open-air museum in which we see the life of a prehistoric human being. There are still many African tribes living in the primitive human life with all its simplicity and beliefs and all its vocabulary which we considered before Complex and difficult to interpret, but these tribes returned to us the distant past, so we see our past and we live our present through the study of these primitive tribes. The totem is one of the religious beliefs with religious and social benefits, which prevailed in many African tribes and was associated with several magical, spiritual and ritual practices. The totem had rights and duties of its members, and a framework that gathers each totem with its clan or tribe. The African totem has been associated with tattoos and the work of the many physical signs such as scratching and rusting, which are practiced by some tribes to turn their bodies into signs similar to the totem they desire, either by painting it on the body or by

creating symbols that have a totemistic motif that brings together the members of one tribe. The word totem was taken from Ajibua, a phonic language spoken by the Indians of the Great Lakes of North America and introduced to the West, as Galen mentioned, it is used in the sense of a social relationship "close or friendship" between two people. There are some groups of Alajiboa organized in the clans of pedigree and extramarital marriage, and each tribe takes a title derived from one of the animal factions.

Totemism is the state in which pagan symbols are used to classify social groups from one another. The idea of totemism is almost to be based on it and its roots, with very influential roots. Rather, it transcends the preservation of the roots to a new and evolving structure within our consciousness, which we cannot doubt. The old human ideas have gathered on the totem to be a symbol of sanctification that goes on with life, for the purpose of drawing strength, help and blessing from it, and as a heritage that culture is keen to preserve. Many human formations have practiced this, such as the sanctification of the grandparent or a particular symbol, Or the sanctification of a certain thing has woven these formations imaginations around him for the benefit. The totem is the father and the guardian spirit of the clan, and the sacred symbol of it, so the clan is forbidden to kill Totem or eat it. Totem is the first father of the clan, the protector of the soul and appointed... Being inherited from the mother or by the father, the first is authentic and then came second, belong to the totem above tribal affiliation and above the blood association.

المقدمة:

يرجع تاريخ الإنسان الأول فى أفريقيا الى ما يزيد عن ثلاثة ملايين سنة وذلك بناء على تأريخ ودراسة ما عثر عليه من أدوات حجرية[1]، أما أقدم السجلات المكتوبة عن إفريقيا فهي التي خلفها المصريون القدماء منذ خمس ألف سنة مضت، وما سجلوه الكوشيين (السودانيين

القدماء) فى شمال القارة الأفريقية[2]. أما الأجزاء الجنوبية من القارة الإفريقية فلا توجد سجلات مكتوبة عنها، إلا تلك التي لا يتجاوز عمرها قرن أو قرنين من الزمان[3]، لذلك أطلق الدارسون على أطول فترات الإنسان في إفريقيا مصطلح (عصور ما قبل التاريخ) أي الفترات التي سبقت ظهور الكتابة ولكن هناك عدة أسباب تجعل أن هذا المصطلح لا يلائم إفريقيا بصورة كلية منها:-

1- أن هناك كتابات ونقوش عثر عليها في الجزء الشمالي من القارة الأفريقية ترجع الى عصور بعيدة لكنها لم تقدم معلومات كافية عن الكثير من جوانب الحياة آنذاك.

2- الكثير من السجلات والوثائق المتوفرة قد تم وضعها من قبل أجانب وهي كثيراً ما تعطي سرداً غير مكتمل لأحداث لم يدركها المؤرخون بصورة صحيحة.[4]

تعريف الطوطمية :-

يُعرف Haas الطوطمية بأنها ديانة مركبة من الأفكار والرموز والطقوس تعتمد على العلاقة بين جماعة إنسانية ورمز معين يسمى "الطوطم"[5]، والطوطم كما يُحدده Ferguson يمكن أن يكون طائر أو حيوان أو نبات أو ظاهرة طبيعية أو مظهر طبيعي مع اعتقاد الجماعة بالارتباط به روحياً، كأن تتخذ القبيلة مثلا من حيوان معين رمز طوطمى لها[6].

ولقد أخذت كلمة "طوطم" عن الأوجيبوا، وهي كما يشير كلا من ,Fershtman و Hoffma لغة الغونكية التي يتحدث بها هنود البحيرات الكبرى في أمريكا الشمالية، ويستخدم الأوجيبوا كلمة "طوطم" بمعنى علاقة اجتماعية قد تكون صلة قرابة أو صداقة قائمة بين شخصين، تنتظم من خلالها أفراد الجماعة فى عشيرة واحدة تتخذ لها رمزاً أو لقباً من خلال إحدى الفصائل الحيوانية[7].

الطوطمية والرسوم الصخرية

كان الرسم بالنسبة للإنسان البدائي فن نفعي؛ قصد منه الانتفاع بكل قوى الطبيعة بل والسيطرة على القوى الخفية المحيطة به عن طريق الرسم السحري, فرسم نفسه وهو يصطاد الحيوانات لكي يقدر على أصطيادها في الواقع ويقدرعلى التغلب عليها كما تغلب عليها في رسوماته[8]. وكان الانسان البدائى يرسم صوره في مناطق يصعب الوصول إليها لكي يجعل تلك الرسوم السحرية فعالة ولا تفقد طابعها السحري واعتقادا منه أيضا أن تلك الرسوم لو وضعت في مكان من السهل الوصول إلية فسوف ثؤثر عليه، ولقد استخدم

الإنسان البدائي تلك الرسوم وحولها إلى رموز وكانت تمثل "الطوطم" الذى كان عبارة عن مجموعة من الأشكال والرموز التي تأخذ الطابع السحري، ومن ثم كان يغطي وجهه بقناع حتى لا تتعرف عليها القوى السحرية.[9]

السحر والرمزية من خلال الرموز والرسوم الصخرية

يحتل السحر مكانة هامة في حياة الشعوب الإفريقية ويظهر ذلك من خلال الرسوم الصخرية التى ترجع الى عصور ما قبل التاريخ لاسيما فى شمال أفريقيا[10]، ومن خلال ما عبرت عنه التقاليد والممارسات المختلفة لدى العديد من القبائل لاسيما فى جنوب أفريقيا، ويعد السحر بمثابة حجر الأساس فى عقيدة وفكر تلك القبائل، ويشكل الساحر شخصية استثنائية في القبيلة، فهو يمتلك قوى أعلى من قوى الطبيعة والأرواح والأمراض والأعداء، ولقد عبر الفن البدائى عن ذلك عندما صور لنا هيئات الشامان[11] والسحرة والحيوانات ذات الدلالة الرمزية التى تجمع بين شكل الحيوان والسمات الطوطمية[12]. وكان من اهم هذه الرموز التى ربما كان لها دلالتها "طبعات الأيدى" أو بصمات الأيدى وهى من السمات الفنية التى انتشرت فى اجزاء عدة من كهوف العالم[13]، وعثر عليها بكثرة ضمن مواضيع الرسوم والنقوش الصخرية فى شمال أفريقيا وكانت ضمن اهم عناصر فن الرسوم الصخرية[14]. وكانت طبعات الأيدى إما تصاحب مناظر حيوانية أو مناظر صيد[15]، أو كانت تأتى فى مجموعة من بصمات وطبعات أيدى عدة لرجال ونساء كان لاشك لها دلالتها بالنسبة لهم.[16]وكان الوسيط بين القبيلة والطوطم هو سيد القبيلة وكان بمثابة الساحر الذي قد تعلّم اكتشاف المجهول ويعمل على أن يتواصل بينه وبين الموتى فهو الذي يقوم بحلّ الكرب والمشاكل التي يتعرّض لها الإنسان وإعطاء أجوبة وحلول تساهم في إرساء التوازن في المجتمع القبلي وهو المسؤول على إخماد غضب الإله والحماية من الأرواح الشريرة .[17]

الأصول الأولى لنشأة الطوطمية

تنوعت المعتقدات والعبادات البدائية وكانت جميعها مستوحاه من البيئة المحيطة بالإنسان، فقد راقب الإنسان البدائى بيئته بكل ظواهرها، وبدأ ينسج بخياله صور عدة وكان من بين هذه الصور انه ظن أنّ أباه الذي يظهر له في الحلم هو هذه القوة الخفية فعبده وذبح له القرابين واتخذ من قبره مزارا ونشأت عبادة أرواح الأسلاف؛ وإن اختلفت مظاهر التعبير عن تلك النزعة الدينية من شمال الى وسط وغرب وجنوب أفريقيا .[18]ومع

تطور المعرفة عند الإنسان البدائي وارتقائه اخذ هذا الإنسان يتصور أن روح هذا الجد يمكن أن تحل في حيوان أو شجرة فانتقل إلى عبادة الحيوانات والأشجار وأصبح لكل قبيلة حيوانها الخاص الذي تعبده وتبجله ومن هنا نشأت فكرة (الطوطم) وهو مرة طائر ومرة ثعلب ومرة بقرة وتارة أخرى شجرة عتيقة وهكذا ومع تطور الفكر الإنساني تعددت القوى وتبدلت بما يتوافق مع تعدد حاجات هذا الإنسان ومخاوفه بالإضافة إلى تعدد العوامل الجغرافية والطبيعية التي يعيشها ولكي يتقرب الإنسان البدائي من هذه المعبودات أدعى بقرابته منها وبأصله الواحد الذي يجمعهما معا وهكذا نشأت أولى الأفكار التي كونها الإنسان بطبيعته [19] ويعد الطوطم رفيق ومساعد مع الارواح الخارقة، وهو وجود مقدس حيث تعتبره الجماعات كهوية لها؛ يحرم لمسه وتحطيمه، ويرى بعض الباحثين أن الطوطمية ما هى الا ممارسات تقليدية تخلق نوع من التوازن البيئى، لضمان الاستخدام الرشيد للحيوانات والنباتات، وتعد ايضا من أدلة الفلسفة فى استخدام الموارد والمحافظة عليها [20]. وقد شكك بعض علماء الإنسان بوجود الطوطمية والبعض الآخر أعتبرها بداية اولية لديانة أو ثقافة وليست ديانة قائمة بذاتها. وقد ضمت الطوطمية اعتقادات منها الايمان بوجود ارواح تسيطر على الطبيعة بطريقة أو بأخرى ولابد من نيل رضاها .[21] ومن هنا كان بزوغ معتقد الآلهة اعتماداً على عبادة مظاهر الطبيعة ومن المحتمل أن تكون الطوطمية هي الشكل الأول للدين في كثير من حضارات العصور الحجرية لاسيما العصر الحجرى الحديث[22]. وبرغم إن هناك ديانات متشابهة وبعضها متقاربة إلا أن هناك ديانات من التباين والتنوع والتشعب ما يجعل من الصعب إيجاد تعريف ونظرية شاملة للدين[23]، وربما ان هذه النظريات تفسر مراحل لاحقة من الدين وليس أصل الدين، أو هي تفسر أنماط مختلفة من الدين على اعتبار إن الظاهرة الدينية متعددة الأنماط، لهذا لا يمكن الحديث إلا عن تعريفات تقريبية، لاسيما عند الحديث عن الديانة الأفريقية، اذ يصعب على غير الأفريقى فهمها واستيعابها، فهى من الأمور المعقدة والتى تتدخل فى تشكيلها عوامل عدة[24]. وبصفة عامه يمكن القول أن فكرة الإله موجودة لدى جميع الشعوب البدائية؛ ولكن اختلفت طبيعة شكل وتصور هذا الاله من مكان الى آخر، ولا نزال نلمس ذلك لدى اصحاب الحضارات الحجرية المعاصرة مثل جماعات أقزام أفريقيا وقبائل جنوب شرقي استراليا التى تعيش على الفطرة والوحي والخيال، وربما كان تبدل أشكال الحياة هو الذي خلق الأساطير والخرافات[25]، هذا

بالإضافة الى دور العاطفة وخصوصا عاطفتي الخوف من الموت والطمع في الخلود هي الباعث الرئيسي وراء الظاهرة الدينية، هذا بخلاف تعدد القبائل الأفريقية وكثرتها، والاختلاف فيما بينها من حيث التصور الفكرى والعقائدى الذى يجعل من الصعب وضع قاعدة عامة للأساس الدينى فى القارة الأفريقية[26].

الطوطمية كما فسرها فرويد

فسر فرويد أصل الطوطمية اعتمادا على نظرة فلسفية تخيلية – ربما جانبها الصواب - اذ رأى أنّنا إذا تتبّعنا التطور التاريخي الذي قطعته البشرية سنجده يرجع لقبيلة بدائية تشبه تجمعات الحيوانات، يحكمها زعيمٌ واحدٌ قويٌّ، يخضع له جميع الأبناء، في ذات الوقت الذي يحتكر فيه النساء لنفسه، ويقضي بأعمال قاسية لمن يحاول منازعته في امتلاك النساء.. لكن الأبناء اجتمعوا على الانتقام من الأب، بقتله، ثم التهامه، وبفعل هذا الالتهام اتحدوا مع الأب، ليضعوا بذلك حدًّا للأسرة البدائية[27]. وفرويد يعتقد أن الإخوة الذين وحّدوا كلمتهم ليفتكوا بالأب، لا بدّ أنه قد راودت كل واحد منهم الرغبة في أن يصير مثل الأب، لهذا سعوا لإشباع هذه الرغبة بابتلاعهم له، لكن هذه الرغبة لم تُشبع بسبب ضغط روابط العشيرة الأخوية على كل فرد من أفرادها [28]. وهؤلاء الأبناء الذين تمردوا على أبيهم والتهموه – كما يرى فرويد - كانوا يخضعون لمشاعر مزدوجة للعقدة الأبوية؛ إذ كانوا يكرهونه، نتيجة اعتراضه بعنف تجاه حاجتهم إلى تحقيق القوة وتلبية مطالبهم الجنسية، لكنهم في ذات الوقت يهابونه ويمجدونه.. ونتيجة قتلهم إياه واقترانهم او اتحادهم معه بالتهامه، نشأ لديهم شعور بالذنب والندم، مما دفعهم إلى تخليد صورة الأب على شكل طوطم، معلنين تحريم قتله كنائب للأب[29]، كما أن ما قد حرّمه الأب في السابق، بمجرد وجوده بالذات، باتَ الأبناء يحرّمونه على أنفسهم، بسبب "الطاعة المُرجأة "، وقد تنصلوا من فعلتهم بتحريم قتل الطوطم[30]. وهكذا كان الربط الاسطورى بين الحيوان الطوطمي والأب أو الجد، فهم يمتنعون عن عن قتله ويعتقدون أنّ هذا الحيوان هو الجدّ الحقيقي للعشيرة، وهم بالتالى ينتسبون اليه فيحرمون قتله.[31] وتتميز علاقة الفرد بالطوطم بأنّها علاقة تفاعلية تبادلية، فالطوطم روح حامية للإنسان والعشيرة، والإنسان يعبر عن احترامه له بعدة صور، كالامتناع عن أكله إن كان حيوانًا، أو قطفه إن كان نباتًا، وهو يحمل مع جماعته اسم طوطمهم ، كما أنّه يحظر زواج أعضاء الجماعة الطوطمية ممن ينتمون لنفس الجماعة، ويعاقب من يفعل ذلك عقابًا قاسيًا

كالموت بالنسبة للرجل، والعض والطعن بالرماح حتى الموت بالنسبة للمرأة، فاعتبار الطوطم هو الجد الأول يؤخذ على محمل الجد في هذا الحظر، فجميع المنحدرين من طوطم واحد متّحدون بالدم[32] .

دور الشامان فى العبادة الطوطمية الافريقية

يمكن تعريف الشامانية بأنها دين بدائي يتميز بالاعتقاد بوجود عالم من الغيبيات هو عالم الالهة والشياطين وارواح السلف، وان هذا العالم لا يستجيب الاّ للشامان أو الساحر "عراف القرية" وهو كاهن يستخدم السحر لمعالجة المرضى والسيطرة على الأحداث[33]. والشامانية ظاهرة دينية تتضمن ممارسات عدة يقوم بها الشامان، وبالرغم من أن الشامانية موجودة بعدة أشكال حول العالم[34]، الا ان الموطن الأصلى للشامانية بشكلها النقي يوجد فى سيبريا وأسيا الوسطى، بالإضافة الى السكان الأصليين للأمريكتين والذين يبدون من أصول وسط آسيوية.[35] وللشامانية أيضاً وجود في ديانة الشنتو فى اليابان وممارساتهم تتعلق بشكل رئيسي بالطقوس القروية، وفي الهند الصينية، حيث تهتم ممارسات الشامان بشكل رئيسي بمعالجة المرضى، أما بالنسبة للشامانية في كوريا فهى متعلقة أساساً بعالم الأرواح[36].

يعد الشامان هو الوسيط أو هو الكاهن والمعالج الروحى، الذى يلتف حوله أفراد القبيلة إعتقادا منهم بدوره الهام كوسيط بينهم وبين الإله[37]، وذلك كما تعتقد بعض القبائل الأفريقية، ولقد كان للشامان دور هام منذ عصور ما قبل التاريخ ليس فقط بأفريقيا بل بالعديد من الحضارات الأخرى كما جاء اعلاه، وقد عثر على أدلة هذا الدور فى مواقع عدة[38] وايضا من خلال ما جاء بالرسوم الصخرية من توضيح للرقصات الطقسية التى يقوم بها الشامان للتأثير على نفوس الرائيين[39] .(شكل : 1 أ-ب)

مظاهر وطرق العبادة الطوطمية

غالبا ما يتقرب الأفريقى الي الطوطم بانواع غريبه من العباده وذلك من خلال الساحر أو الشامان، ومن وسائل التعبير عن هذه العبادة :-

1. **تقديم القرابين** : والتي تكون غالباً حيوانات وطيور او حلي ومتاع .
2. **تقديم ارواح بشريه** : فقد تراق دماء بشريه امام الطوطم ليرضي عنهم الطوطم.
3. **الصلاه للطوطم** : لتأدية فروض الطاعة والولاء.

4. **الرقص للطوطم**: هنا يكون واجباً التقرب للطوطم وذلك بالرقص والتواثب حول الطوطم ويعرف هذا اليوم بيوم عبادة الطوطم حيث يستعدون له بالاقنعه والثياب الغريبه ثم يبداوا في رقص تمثيلي معبر ربما يرمز لطقسة ما.[40] ويكون المسؤل عن تأدية تلك الممارسات ساحر القبيله وهو الوسيط والمسؤل الاول عن ارضاء الطوطم وطرد الشر والسحر[41]، وتصل عقوبة من يقترب سواه من الطوطم من الأشخاص العاديين الى الموت.[42]وهذه جميعها أفكار طوطمية كانت بمثابة قواعد منظمة للمجتمع الطوطمى وأصبحت أسس لابد من الالتزام بها وعدم الحياد عنها.

الطوطمية والصلة الحيوانية

كانت العلاقة بين الانسان والحيوان منذ عصور ما قبل التاريخ علاقة تبادلية نفعيه يشوبها الخوف والتقديس، وتمثلت النفعية فى اعتماد الانسان على الحيوان كمصدر للغذاء، بل والكساء اذ كان يستعمل الفراء للحماية من البرد، وتطور الأمر الى أن اصبح استعمال الإنسان البدائي فراء الحيوانات وجلودها للتنكّر إمّا من أجل تقليد الحيوان الطوطمي للقبيلة، أومن أجل الحصول على صفات الحيوان، وظهر ذلك بوضوح فى قبائل عدة بالقارة الأفريقية لاسيما غانا فى غرب أفريقيا الذي أتى منه الجلد إما لمخادعة أو إرعاب العدو، سواء أكان هذا العدو حيوانا أم إنسانا. كما أنّ هذا التنكّر يظهر أحيانا وخاصة لدى القبائل البدائية، في تلك العلامات والرموز التي قد تنقش أو تخدش أوتكوى أوتوشم على سطوح جلودهم. هذه العلامات والرموز تمثّل في مجملها الوشم وعلى الرغم من انتقاله بين العصور القديمة مرورا بالوسطى إلى الحديثة، فقد عُرف الوشم كفن ورمز لكثير من المفاهيم واستخدم للعديد من الأغراض ذات المعاني عند الشعوب. [43]

الوشم وعلاقته بالطوطمية لدى القبائل الأفريقية

يمكن القول أن هناك علاقة من نوع ما ربطت بين الجسد والطوطمية لدى العديد من القبائل الأفريقية، وكان الوشم هو الوسيلة الداعمة لذلك، وكان للوشم جذور امتدت به الى عصور ما قبل التاريخ، اذ اعتبر بمثابة تعويذة ضدّ الأرواح الشريرة ووقاية من أضرار السحر، وثبت معرفة الوشم فى بلاد عده وقد عُثِرَ على جثث تعود إلى العصر الحجري الحديث فى جنوب أمريكا - الألف السادس ق.م - والتي تثبت الممارسات القديمة للوشم[44]. ولقد كان الوشم في فجر التاريخ ذا طابع بدائي قبلي، حيث كانت القبائل تتخذّ من بعض

الحيوانات حاميا وصديقا وأمانا لها، فتجعل من رأسه "طوطما" تحتفل به، وتصنعه شارة على بيوتها أوسيوفها أو وشما على صدور رجالها، ويظّل هذا الحيوان رمزا محترما لدى هذه الشعوب وأجيالها، ومن ثم نرى الرمز الطوطمي للعشيرة مثبتا على أجسام أفرادها وملابسهم وأغطية رؤوسهم وأسلحتهم وخيامهم وتوابيت موتاهم وقبورهم وما تملكه من حيوان ومتاع[45]. ولما كان أفراد العشيرة مشتركين مع طوطمهم فى طبيعته، فهم كذلك يشتركون معه فى قدسيته، فكل واحد منهم كان ينظر إليه على أنه متمثل فى صورة ما. وهذه القدسية منتشرة فى جميع أجزاء الجسم وعناصره، ولكنها أظهر ما تكون فى نظر هذه العشائر فى دم الإنسان وشعره. ومن ثم كانت الدماء والشعر من أكثر عناصر الإنسان استخداما فى هذه الطقوس والشعائر الدينية البدائية عند هذه العشائر[46]. وحينما كانت تطبع صورة الطوطم على جسم الإنسان المراد امتزاجه بطوطمه، كان لابد من خروج الدم لكي يمتزج به امتزاجا ماديا ومعنويا، بتلك الصفات والأشياء التى ذكرناها، ومن هنا نشأت عادة الرسم أول الأمر وكانت ذات دلالة اسطورية، واستمرت متوارثة بين أفراد القبيلة الطوطمية تميزهم دون غيرهم، وتجمعهم برباط من القربى والحميمية كأفراد عائلة واحدة.[47]ومن التقاليد الملفته للنظر فى العديد من قبائل قارة أفريقيا ؛ تلك العلامات والرموز والنقوش التّي توجد على جلود بعض القبائل مثل الزنوج في إفريقيا، والتى تصل الى حد التقديس والإجبار[48] ولئن كانت هذه النقوش غريبة وبشعة في نظرنا، أحيانا إلاّ أنها تمثّل ثقافة كاملة لمفهوم القبلية في إفريقيا.[49] (شكل: 2)

الروحانية الطوطمية

وفقا لمختلف الروحانيات الأفريقية فإن الإنسان والحيوان وغيرهم من الظواهر الطبيعية ماهى الا إنعكاس لله على الأرض، ويعتقد أغلب الأفارقة أن الله هو الوالد- ومن ثم فهو الطوطم - سواء بسبب منصبه كرئيس للقبيلة جميعا، أو بسبب شخصيته التى يحترمها ويقدسها الجميع؛ فالأب بالنسبة لهم هو الإله الذى يسعون لنيل رضاه [50]. وتتمثل الروحانية الطوطمية بوجه عام فى الاعتقاد بوجود أرواح غير مرئيّة، وأن الأشباح -أو الأرواح الخيّرة- هي التي تساعد على توفير الصيد والحماية من الأمراض. إنّها تقف في وجه الشياطين والأرواح الشرّيرة التي تسكن الغابة، وترأس الكثير من الطقوس التي تنظّم الحياة اليوميّة، فتظهر في طقوس التلقين والصيد وتضميد الجراح والخصوبة والجنازات[51]. ومن ثم كانت عمليات الخدش او الفصد او الوشم جميعها أفعال روحانية

محورها إخراج الدّم من الجسد فأفراد القبيلة يشعرون براحة روحية حينما يشاهدون الدماء، والدم منذ القدم هو رمز الروح وهو يضا رمز للطاقة الحيوية، هذه الطاقة التّي يكتسبها البعض حينما يشربون دماء الأضاحي التي يقدمونها أثناء طقوسهم الاحتفالية[52]، وما كل تلك الممارسات الا تعبير عن طبيعة ثقافة المجتمع الأفريقى، فللقارة الأفريقية فلسفتها الخاصة فى التعبير عن شخصيتها وعاداتها وتقاليدها الموروثة[53].

مفهوم قبول الألم والتغلب عليه

طبقاً لما ذكره عباس حسين فإن عمليات الخدش والوشم كانت مؤلمة جدّا الا أن مفهوم قبول الألم والتغلب عليه هو المسار الواقعي لمعالجة ألم النفس، وهذا المفهوم يطرحه علماء النفس قائلين بانّ العلاج الحقيقي يتمثل في القدرة على تقبّل الألم كوسيلة لإنهائه. والخدش والوشم بصفة عامة بالنسبة للمجتمعات البدائية الإفريقية هو ممارسة السحر في الجسم ولقد اكتسب الخدش طبيعة سحرية روحانية عقائدية، فقدرة الإنسان البدائي الإفريقي على تحمل آلام عملية شقّ الجلد ترتبط بالأساس بمعتقد "اكتساب قوى سحرية" وتستعمل لذلك أدوات حادة لتشريط الجلد وخدشه وبقدر ما تكون طاقة الفرد على تحمل تلك الآلام الحادة كبيرة، بقدر ما يكتسب قوى سحرية روحانية تمكّنه ممن السيطرة على الآخر[54]. ويعتقد أن قدرة تحمل آلام الخدش لدى الفرد في القبيلة وخاصة "الأسياد" تكسبه طاقة روحية سحرية استمدها من أرواح الأسلاف وتكون له بذلك تأثيرات روحانية سحرية على الآخر فهذا المتلقي المشاهد يترسخ في ذهنه أنّ هذا الذي يتحمل الآلام المرعبة لعملية الوشم أو الخدش هو بالتالي يمتلك قوى غيبية وله علاقة بقوى لاهوتية تمكّنه من الحصول على القوة والسيادة والنفوذ[55]. وكان الهدف من تلك الممارسات هو إرضاء القوى الروحية الغيبية، فالخدوش والوشوم الموجودة فوق سطح الجلد الداكن تمثّل في مجملها رموزا وعلامات، ولذا فمن المنطقي القول بأنها لغة تواصلية بين أفراد قبائل وسط إفريقيا.[56] فهذه العمليات في قبائل وسط إفريقيا ترتبط بالأساس بالدين، والدين لدى الأقوام البدائية هو الاعتقاد الراسخ في عالم الأرواح واسترضاء القوى المتعالية على الإنسان الذي يعتقد أنها تُدير مجرى الطبيعة وتوجّه حياة البشر.[57]

عبادة الأسلاف وارتباطها بالوشم والخدش والفصد

عرفت عبادة الأسلاف عند بعض الشعوب الأفريقية وكان من بينها شعب "الازاندي" وكان شأنهم في هذا شأن معظم القبائل الإفريقية فعالم الأحياء وعالم الأموات يكوّن في واقع الحال مجتمعا واحدا والصلة بينهما وثيقة، وتتجلى تلك الصلة عن طريق الأحلام وعن طريق الدخول فى حالات الغيبوبة والإغماء[58]. وللوصول إلى التخاطب مع الأسلاف وأرواحهم، فإنّ شخصية الطبيب الساحر في قبيلة الازاندي يقوم باجتياز مجموعة من التجارب الطقوسية فيتعرّض إلى تجارب جسمانية قاسية كأنواع من الخدش والفصد والوشم يثبت من خلالها شجاعته على تحمّل الآلام فإظهاره لتحمله تلك الآلام وعدم صراخه أمام أفراد القبيلة يجعله في نظرهم يحمل قوى سحرية غيبية قد منحها له أرواح الأسلاف الذين هم على اتصال دائم مع العالم الخارجي[59]. وما كل ذلك الا دليل على الدور الروحى أو "الروحانية " التى تعد حجر الأساس فى فكر وعقيدة أغلب القبائل الأفريقية .[60]

دور الأقنعة فى المعتقد الطوطمى

عادة ما يرتبط إرتداء الأقنعة بأسياد النار وهم السحرة والشامان أو العرافين، وهم الذين يعالجون المرضى باستعمال تقنيات الوسم والوشم والخدش وشق الجلد، فالمريض يرى في تلك الأقنعة حضورا لروح الأجداد التي تأتي بالشفاء العاجل له. وكان عند موت الكاهن أو كبير القبيلة تقام مراسم لدفنه وقبل مواراته التراب يقوم أفراد القبيلة بنحت قناع له وينقلون تلك الرموز والعلامات والخدوش الموجودة في جسد الميت إلى القناع كما هي دون تحريف أوتزييف ثمّ يبدأون بتقديس هذا القناع وذلك باستعماله في طقوسهم الاحتفالية الخاصة فالقناع أصبح له قوى سحرية حينما انتقلت هذه القوى الغيبية الروحية من المادة الحيّة (جسد الكاهن) إلى المادة الجامدة (القناع) عن طريق الخدش والوشم[61]. تشكل الأقنعة حقيقة أساسية في المعتقد الطوطمي السائد لدى الشعوب البدائية فالمنحوتات والأقنعة الإفريقية تقودنا إلى سريالية تتكامل فيها وحدة الإنسان مع الطبيعة والتحامه بالقوة السحرية حيث ترى العالم قبل كل شيء نظاما من الإشارات والرموز ففن نحت الأقنعة فن روحاني بالأساس إذ أنّه يربط بين من يرتدي الأقنعة بالعالم الخفيّ الذي تسكنه الآلهة أو تسكنه أرواح الأسلاف متخطيا بذلك شخصيته الأصلية وجامعا ما بين الإنسان وعوالم الحيوان والنبات والأرواح والأشياء الجامدة.[62] ولقد لعبت الأقنعه دور دينيا وعقائديا بل وجنائزياً فى مصر منذ عصور ما قبل التاريخ فقد عثر على نماذج لأقنعة من الطين المحروق فى

"نخن" (هيراكونبوليس)[63]، بدت بدراستها أنها ربما كان لها استخدام طقسى، وكانت قد وضعت مع صاحبها فى مقبرته كنوع من المتاع الشخصى، فربما كان صاحب الأقنعه أحد رجال الدين آنذاك- ومن ثم حرص على دفن تلك الأقنعه معه (شكل : 3) . أما عن أنواع الأقنعه لدى القبائل الأفريقية؛ فهناك نمط من الأقنعة يحمل العديد من الرموز التي تشبه رموز الوشم والخدش في جلود الأفارقة الزنوج، ويستخدم هذا النمط فى احتفالات التأهيل (كثقب الجلد وخدشه والختان، وتشويه الجمجمة، وثقب الأذن أوالأنف والولادة، سن البلوغ، الزواج، تنصيب سيّد القبيلة واحتفالات جمع المحاصيل والصيد. وهناك الأقنعة العاجية وهذه تستعمل في الاجتماعات البشرية والممارسات السحرية، أما الأقنعة الخشبية فهي للاحتفالات العامة لحماية أفراد العائلة من الشياطين والأرواح الشريرة والجنون[64]، ويبين (شكل : 4) أحد تلك الأقنعة التى ترجع لحضارة الكاميرون [65]، وهو يوضح اقتران الفن بالعقيدة فى آن واحد[66]. ومن ثم فإن الفن الإفريقي ليس ترفاً ثقافياً وإنما ضرورة دينية واجتماعية, فقد اكتسبت الأقنعة والرموز الأفريقية مكانتها في إرساء قيمه الدينية والاجتماعية وتأكيد أعرافه وعاداته وتقاليده, والمساهمة في استمرار أساطيره وطقوسه السحرية, ومن هنا أدرك المحللون أن هذه اللغة مصطلح يشير إلى القناع من حيث المدلول السيكولوجي والشكلي وإنها تعبير عن مجمل حياة الأفريقي وعلاقته بالكون من حوله وأن فن صناعة الأقنعة طريقة من الطرق الفنية التشكيلية التي يمكن من خلالها التعبير عن المدلولات السيكولوجية والشكلية للرموز الإفريقية. ولقد لعبت الألوان دور هام فى التعبير عن الهيئة الطوطمية، اذ كان من بين الهيئات الطوطمية التى عرفت فى افريقيا الطواطم ذات الهيئات المركبة غريبة الشكل، ذات الأوان المتنوعة والمتباينة، كان يتم وضعها فى ساحة واسعه كى تصبح مزار ومقصد للزائرين من أفراد القبيلة الطوطمية التى ينتمى اليها او ينتسبوا هم اليه بمعنى أصح[67].

نماذج للطوطمية لدى بعض القبائل الأفريقية

تعيش العديد من شعوب قبائل وسط وجنوب إفريقيا بالخصوص وسط الغابات والأحراش وتتعايش مع الحيوانات الضارية[68]، وظهرت لديهم العديد من مظاهر الطوطمية بصور وأشكال وممارسات مختلفة، وغطيت أجسادهم بأوشام وأوسام وخدوش متنوعة، وكان من بين تلك القبائل:-

قبيلة البانتو: هى من المجموعات الزنجية الكبرى على الحدود الجنوبية لنيجيريا والكونغو وفي إقليم هضبة البحيرات الاستوائية، وكان من بين ممارسات تلك القبيلة أنه كان حين يموت أحد أفراد (البانتو)، يُنحت له تمثال من خشب أومن مادة أخرى (شكل: 5) و(شكل:6)، هذا التمثال هو تصوير لا يماثل الأصل إنّه تركيب يحل محلّ الجسم الذي هجرته الحياة، فيعاد إلى التراب، ففي هذا النظير الخالد تسكن ومضة الحياة. بمعنى أنّ الروح التي غادرت الجسد تعود مرة أخرى لتسكن هذا التمثال ولكي لا تتوه الروح عن تمثالها حسب ما يعتقدون فإنّهم يصنعون قناعا لهذا التمثال فيه نقوش وعلامات ورموز تشبه التي كانت في الجسد الإنساني بواسطة الخدش والوشم.[69]

قبيلة اليوروبا: لعبت الطوطمية دورا عقائديا واجتماعيا هاما فى قبيلة اليوروبا أكبر القبائل النيجيرية عددا بعد الهوسا بالجنوب الغربى النيجيرى، واحدة من تلك القبائل التى لازالت ترى فى الطوطم رمز للقبيلة، يخترع أهلها القصص والحكايات الخرافية لإكسابه هالة وقداسة، ثم يصبح "تابو"، محرّما لا يجوز المساس به أو الاعتراض على أحكامه، بل ويتعرض ضد كل من تسول له نفسه ويلمس الطوطم بيده أو يشكك بقدرته بعقوبات مرعبة.[70] ان هذه الممارسات على اختلاف أنواعها انما هى ترتبط فى باطنها بروحانية دفينة ترتبط بالطوطمية وتربطها بصلة روحانية فى نفوس أصحابها أو نفوس من يمارسها [71]

قبيلة الموريس أو "المورسي": هي قبيلة أفرادها رعاة ماشية وهي مجموعة عرقية موجودة في منطقة «أومو ديبوب» في منطقة أثيوبيا بالقرب من الحدود السودانية تحيط بها الجبال بين نهر أومو وروافد نهر«ماقو». مارست تلك القبيلة الطوطمية بصورة مختلفة، اذ جعلت من أجسادهم فى حد ذاتها رموز تجمعهم بالقبيلة (وليس بالإله) فكان الصلة القبلية هى الداعى وراء تلك الرمزية الطوطمية لو صح التعبير، فقد مارست النساء فى تلك القبيلة عادة ثقب الشفاة وتزيين الجسم بالوشم والألوان ومارس الرجال عادة الخدش والوشم .. وكأنهم يعلنون عن انتمائهم للقبيلة بصورة واضحة لا تدعو مجالا للشك[72]. ولقد عرفت النساء لدى هذه القبيلة بالنساء ذوات الأطباق، وأطباق الشفاه زينة تعمد إليها المرأة إلى ثقب شفتها السفلية وإدخال طبق في هذا الثقب على أن يتم تغييره من وقت لآخر بحيث يتسع الثقب فيحوي أطباقا أكثر حجما والطريف في الأمر أن اتساع هذا الحجم يحدد مهر المرأة والمواشي والهدايا التي يقبلها أهل العروس من العريس.في بداية سن البلوغ، تضع

الفتاة طبقا صغيرا يكون عادة من الخشب وبعد سنة تستغني عنه وتعوضه بطبق خشبي أكبر قليلا، فتتمطط شفتها السفلى وتصبح قادرة على استيعاب أطباق أكبر حجما، وعند الزواج تضع فتاة «المورسي» طبقا نهائيا يكون كبير الحجم وهو عادة من الفخار ويكون مزركشا ومنقوشا بأشكال وعلامات ورموز لا يفك طلاسمها إلا الرجل الذي اختار تلك المرأة. فأطباق المرأة علامة رمزية للرجل ودعوة له بالزواج منها والفتاة التي لا تضع طبقا في شفتها السفلى لايمكنها الفوز بعريس.[73]

قبائل الدوجون أو" الدوغون ": هى قبائل تجمع بين بدائية العيش والتطور الكبير فى علم الفلك والتنجيم، يرى بعض الباحثين أن تلك القبائل كانت جذورها الأولى من مصر، ثم مروا على ليبيا واستقروا بـ "مالى" فى غرب أفريقيا، ويعتقد هؤلاء الباحثين أنهم حملوا معهم من مصر علوما كونية تعود لأكثر من 3200 ق.م [74]، ولدى القبيلة مغارة عميقة فى الجبل تحمل جدرانها رسومات، وطبقا لمعتقداتهم يقوم رجل مقدس بحمايتها طوال حياته، وتتولى القبيلة بتقديم الطعام له، وبعد مماته يتولى المهمة مقدس أخر، وتعد قبائل الدوجون من أولى القبائل التى تقدس الأسلاف والأرواح [75].

قبائل البوشمن: كانت قبيلة البوشمن واحدة من أهم القبائل البدائية فى جنوب افريقيا، فالبوشمِن إلى حد ما يعتبر عبدة لأرواح الموتى، وعبروا عن ذلك بأمور عده كان من بينها النقوش والرسوم الصخرية التى اشتملت على رموز عقائدية وطبعات أيدى اقترنت بالعديد من الرسوم الحيوانية[76], وقد آمنت قبائل البوشمن كذلك بوجود إله قويّ خلق نفسه ثم خلق الأرض والماء والصحراء, وهو إله خيِّر على الأرجح, إلا أن غضبته مخيفة ويسمونه "هارا", كما يؤمنون بوجود إله أصغر مسئول عن الشر والسحر الأسوَد[77].وقد وصف دين البوشمن بأنّه "شاماني"بسبب تشابهه مع الطقوس التي تمارسها شعوب القطب الشمالي[78]. فحين يتعلّق الأمر بشفاء مريض أو جلب المطر، يجتمع الرجال والنساء ليلا حول النار، ويغنّون ويرقصون ويصفّقون بأيديهم إلى أن تتولّى أحدهم – المتطبّب – غشية، ويدخل في تواصل مع عالم الأرواح، ويتمكّن بذلك (أو يُعتقد على الأقلّ) من استخراج المرض من جسم المريض[79].

الخاتمة

كانت العبادة آياً كان نوعها هى الرداء الذى يرتديه المرء ليحتمى به، ويحيا من خلاله فى إطار تنظيمى يطمئن به على استقرار حياته، ولقد تنوعت أشكال تلك العبادة ومظاهر

التعبير عنها فى عصور ما قبل التاريخ، وكانت الطوطمية والشامانية من بين أهم العبادات والديانات التى عرفت فى العديد من البلاد فى عصور ما قبل التاريخ بوجه عام وفى أفريقيا بوجه خاص.

- الطوطمية أحد أهم الديانات الأفريقية التى عرفت منذ عصور ما قبل التاريخ، وظلت متوارثة مع اختلاف مظاهرها فى العديد من القبائل البدائية التى تعيش فى أجزاء عدة من قارة أفريقيا .

- تعد الطوطمية نظام ديني واجتماعي في آن واحد، فمن الناحية الدينية هناك حظر بقتل الطوطم، ومن الناحية الاجتماعية حظر باقتتال الإخوة التى تنتمى الى نفس الفئة الطوطمية.

- يرجع بعض الباحثين أصول الطوطم إلى أحد الاجداد الأوائل من الشامان الذى كان بمثابة طبيب أوساحر القبيلة المكلف بتنمية العلاقة بين الافراد والطوطم.

- يصعب لغير الأفارقة أن يتخيل أو يرسم صورة واضحه لتلك الروحانيات، أو يضع تجسيد واضح المعالم للطوطم أو لشخص الإله فهو يجمع فى طياته بين الأشتات ومن الصعب تدارك أبعاد الصورة بمجرد الدراسة، لابد من التعايش مع تلك القبائل كى يتسنى فهم عقائدها بوضوح.

- ارتبطت الطوطمية بممارسات وطقوس تتعلق بما يعرف بالديانة الشامانية، وهى من الديانات البدائية التى لعب فيها ساحر القرية دور هام كوسيط بينه وبين الاله.

- لعبت الأقنعه دور هام فى أداء الطقوس والشعائر المرتبطة بالطوطمية لدى العديد من القبائل الأفريقية، وارتبطت الأقنعة بالممارسات الدينية لاسيما التى يؤديها الشامان والكهنه أو رجال الدين بالقبيلة.

- السحر والروحانية هما الوجه الآخر للعقيدة الطوطمية، ولقد تنوعت الرموز الطوطمية بين الرموز الحيوانية والرموز النباتية، وارتبطت فى طياتها بالانتماءات القبلية، وعبرت العديد من القبائل الأفريقية عن تلك الرموز الطوطمية بالوشم والخدش كعلامات ترسم أو تخدش على الجسد كى يتوحد الجسد مع صاحبه ومع الرمز الطوطمى الذى يشير اليه فيصبحا كيان واحد، وكان الألم الناتج عن تنفيذ الوشم أو الخدش بالجسد هو العامل المشترك الهام الذى بحدوثه تطهر الروح وتتحد مع طوطمها.

- لعبت عبادة الأسلاف دور هام فى العقيدة الطوطمية لدى العديد من القبائل الأفريقية، اذ كان احترام وتقديس الأجداد والآباء من أهم الأسس التى حرصت عليها أغلب القبائل الأفريقية.

ومن ثم يمكن القول من كل ما سبق أن إنسان عصور ما قبل التاريخ مازال معاصرا لنا، من خلال الشعوب والقبائل البدائية التى تتسم بالفطرة والبساطة وتحيا بأريحيتها دون تعقيدات، وربما أمكننا بدراسة الحياة الروحية لتلك القبائل معرفة وفهم ماضينا فى حقبة غابت فيها الأدلة المكتوبة.

قائمة الأشكال



(شكل : 1/أ) - منظر لأحد رقصات الشامان– كهوف تاسيلى– شمال أفريقيا.

-The dawn of imagination, Rock art in Africa, united nation, 2005, p.10.



(شكل : 1/ب) - منظر لأحد رقصات الشامان– كهف تاسيلى- شمال أفريقيا

https://www.pinterest.co.uk/pin



(شكل : 2) - الجسد علامة ورمز .

حسين عباسى، الوشم لدى قبائل أفريقيا الوسطى: الذات والموضوع، مجلة الثقافة الشعبية، العدد 12، 2011، ص 84.



(شكل: 3) – قناع بوجه آدمى – "نخن"- هيراكونبوليس .

- Adams, B., “More Surprises in the Locality HK6 Cemetery”, in: Nekhen News, vol.11, p.4.



(شكل : 5) - تمثال من الخشب كرمز طوطمى

– قبائل البانتو فى أفريقيا الاستوائية

حسن عباس ، 2011، ص 95 .



(شكل : 4) - قناع من الكاميرون – على هيئة وجه آدمى .

Imale, J., African sculpture from the collection of the society of African missions, New York, 1980, p.46.



(شكل : 6) - طوطم أفريقى – المتحف البريطانى - لندن .

http://worldalldetails.com/Sightview/British_Museum_London_England_African_Totem-1082.html

قائمة المراجع العربية والمترجمة

- الميرا إسماعيل علي، السلالات البشرية ، بيروت، 1982.
- أشيلى مونتاغيو، البدائية، مترجم، الكويت، 1982
- بركات محمد مراد، فن الوشم، رؤية أنثروبولوجية نفسية، مجلة الثقافة الشعبية، العدد الثالث، عادات وتقاليد، البحرين ، 2011
- حسين عباسى، الوشم لدى قبائل أفريقيا الوسطى: الذات والموضوع، مجلة الثقافة الشعبية الالكترونية، العدد 13، 2011، ص 89.
- الدوجون .. من غرائب قبائل دولة مالى ، مجلة أفريقيا قارتنا ، العدد الرابع عشر ، اكتوبر ، 2014 .
- سيغموند فرويد، الطوطم والحرام، مترجم، بيروت، 1997
- شارل أندرى جوليان ، تاريخ أفريقيا الشمالية ، تونس ، الجزائر، المغرب الأقصى ، من البدء الى الفتح الاسلامى 647 ق.م ، مترجم ، مؤسسة تاولت الثقافية ، 2011
- طه الهاشمي ، تاريخ الأديان وفلسفتها ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت 1963

- عبد الحكيم خليل سيد أحمد، التجليات الرمزية للوشم فى المعتقد الشعبى بين الخصوصية الثقافية والثقافة الشعبية، المؤتمر الرابع للفن والتراث الشعبى الفلسطينى، فلسطين، 2012
- عبد الستار البدرانى، السحر المضاد: دراسة أنثروبولوجية فى المكونات الأولى للقناع، موقع أرنتروبوس، ج 2، 2014.
- قبيلة البوشمن إمتداد الانسان الأول فى القارة السمراء، مجلة أفريقيا قارتنا، العدد الحادى عشر، مارس 2014.
- قبيلة الموريس البدائية، إحدى أغرب القبائل على وجه البسيطة، مجلة أفريقيا قارتنا، العدد العاشر، يناير 2014.
- قبيلة اليوروبا النيجيرية، مجلة أفريقيا قارتنا، العدد الثامن عشر، أكتوبر 2015.
- كامل على ، أساطير الأولين– الشامانية ، مجلة " كتابات " ، 2012.
- مبروك بوطقوقة، الوشم لدى قبائل أفريقيا الوسطى: الذات والموضوع، موقع أرنتروبوس، 2014.
- محمد أنور، شعب البانتو، مجلة أفريقيا قارتنا ، العدد السادس عشر، ابريل ، 2015.
- مروة عبد العليم، الوشم فى أفريقيا، مجلة أفريقيا قارتنا، العدد العاشر، يناير ، 2014
- مسعد بري، تطور الفكر الطوطمي (دراسة في الجغرافية الاجتماعية)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية / قسم الجغرافيا، جامعة حلب، 2010.
- منى محمد إبراهيم محمد، المدلول السيكولوجي والشكلي للرموز والأقنعة الأفريقية في فن الباتيك، مؤتمر كلية التربية الفنية الدولي الرابع (الفنون والتربية في الالفية الثالثة)، 2013.

قائمة المراجع الأجنبية

- Aaron, D., "The Material Culture and Middle Stone Age Origins of Ancient Tattooing". Tattoos and Body Medications in Antiquity: Proceedings of the

sessions at the EAA annual meetings in The Hague and Oslo, 2010/11. Zurich Studies in Archaeology, 9, 2013.

- Adams, B., "More Surprises in the Locality HK6 Cemetery", in :"Nekhen News", vol.11, 1999.
- Agnew, N., and Others, Rock Art A cultural treasure at risk, Los Angeles, 2015.
- Awolalu, J.O., What is African Traditional Religion ? Studies in Comparative Religion, Vol. 10, No. 2. 1976.
- Balout. L., the prehistory of North Africa, in : Ki-zerbo, J., General history of Africa, Methodology and African Prehistory, 1981.
- Bird-David, N., 'Animism' Revisited: Personhood, Environment, and Relational Epistemology, Current Anthropology, vol. 40 Supplements, 1999.
- Capart, J., Primitive art in Egypt, London, 1905.
- Clark. J.D., Prehistory in southern Africa, in : Ki-zerbo, J., General history of Africa, Methodology and African Prehistory, 1981.
- Clarke,C., The Art of A Resource for Educators Africa the metropolitan museum of art, New York, 2006.
- Daniel M. T., & Navarrete .C.D., "Meat Is Good to Taboo: Dietary Proscriptions as a Product of the Interaction of Psychological Mechanisms and Social Processes, Journal of Cognition and Culture, 3(1), 2003.
- Devilloers,A., Certain Aspects of Pioneer Toponymy in South Africa in the Nineteenth, Century. Proceedings of the 8th International Congress of Onomastic Sciences 1963.

- Dowson, T., Debating shamanism in Southern African rock art : time to move on. South African Archaeological Bulletin 2007.
- Ferguson.M.J., "The Worship of Animals and Plants", Fortnightly Review, 6, 1868.
- Fershtman,C., and Hoffman,M., Taboos and Identity: Considering the Unthinkable, in: American Economic Journal, 3 , 2011.
- Gumo,S ; & Others , Communicating African Spirituality through Ecology: Challenges and Prospects for the 21st Century, Religions ,2012.
- Gunn, R.G., "Hand sizes in rock art : interpreting the measurements of hand stencils and prints," Rock Art Research, vol. 23, 2006.
- Haas, E.Th. Totem und Tabu ein exotischer Tagtraum oder Grundlage einer allgemeinen Kulturtheorie, 2002.
- Hoppál, M., Shamans and symbols prehistory of semiotics art, Budapest, 2013.
- Hultkrantz, A., The place of shamanism in the history of religions, in Shamanism: Past and Present, eds. M. Hoppál & O.J. von Sadovszky. Los Angeles, 1989.
- Idowu, E.B., African Traditional Religion, S.C.M., 1973
- Imale, J., African sculpture from the collection of the society of African missions, New York, 1980.
- James1, W., & Speaker, K., Rock art and the evolution of human imagination, in : Deacon, J., (edit.,), The Future of Africa's Past Proceedings of the 2004, TARA Rock Art Conference Nairobi, Trust for African Rock Art, TARA 2005, pp.15-16.
- Lewis-Williams J. D., Putting the record straight : Rock art and shamanism, Archaeological Bulletin, 2003.

- Marchant R. and Taylor. D., Dynamics of montane forest in central Africa during the late Holocene: a pollen based record from western Uganda. The Holocene 8, 1998.
- Margaret,M., An Ethnologist's Footnote to 'Totem and Taboo', The Psychoanalytic Review ,1930.
- Mbiti, J.S., African Religions and Philosophy, Heinemann, 1969.
- Nyame.G., the Akan , other Africans and the Sirius star system,2008.
- Oman, J., the Natural and the Supernatural, C.U.P., 1931.
- Omobola,O.C., An Overview of Taboo and Superstition among the Yoruba of Southwest of Nigeria,ph.D, Mediterranean Journal of Social Sciences Published by MCSER-CEMAS-Sapienza University of Rome, Vol .4 No 2 May, 2013.
- Parrinder, E.G., West African Religion, London, Epworth, p.26, 1969.
- Principe,W., "Toward defining spirituality", in: Studies in Religion, 12, 1983.
- Pritchard,E.,Theories of Primitive Religion, 1965.
- Robin,F., Totem and Taboo Reconsidered. In The Structural Study of Myth and Totemism, London, 1967.
- Roscoe, J., the Soul of Central Africa, London, 1922.
- Sauvet, G., & others, thinking with Animals in Upper Paleolithic Rock Art, in : Cambridge Archaeological Journal, Received 18 Dec 2008 ; Accepted 16 Feb 2009 ; Revised 18 May 2009.
- Searight, S., The prehistoric rock art of Morocco: a study of its extension, environment and meaning, a thesis for the degree of Doctor of Philosophy, Bournemouth University, January, 2001,p.69; Wang ,J.Z., &

Others , Determining the Sexual Identities of Prehistoric Cave Artists using Digitized Handprints ,in: MM, vol.10 , 2010.

- Snow, D.R., "Sexual dimorphism in Upper Paleolithic hand stencils," *Antiquity*, vol. 80, 2006.
- The dawn of imagination, Rock art in Africa, united nation, 2005.
- Walmsley,G., African Philosophy and the Future of Africa Edited , Cultural Heritage and Contemporary Change Series II, Africa, Volume 14, 2011.
- Wasdell,D., The myth of god, London, 1982.
- Wendorf, F., North African Archaeology, in : Taylor, R.E., (edit.,), Radiocarbon after Four Decades an Interdisciplinary Perspective, New York, 1992.
- Winkelman, M., 'Shamanism as the Original Neurotheology', Zygon, 39, 1, 2004.

قائمة الهوامش

[1] - Balout. L., the prehistory of North Africa, in : Ki-zerbo, J., General history of Africa, Methodology and African Prehistory, 1981, p.269.

[2] - Wendorf, F., North African Archaeology, in : Taylor, R.E., (edit.,), Radiocarbon After Four Decades An Interdisciplinary Perspective, New York, 1992, pp. 311-314

[3] - Clark.J.D., Prehistory in southern Africa, in : Ki-zerbo, J., General history of Africa, Methodology and African Prehistory, 1981, p.489.

[4] - شارل أندرى جوليان ، تاريخ أفريقيا الشمالية ، تونس ، الجزائر ، المغرب الأقصى ، من البدء الى الفتح الاسلامى 647 ق.م ، مترجم ، مؤسسة تاولت الثقافية ، 2011 ، ص 29 – 30.

[5] - Haas, E.Th. Totem und Tabu ein exotischer Tagtraum oder Grundlage einer allgemeinen Kulturtheorie, 2002, Psyche, 56, pp. 139–44.

[6] - Ferguson.M.J., "The Worship of Animals and Plants", Fortnightly Review, 6, 1868, p.407–27, 562–82 ; 7 (1870), pp. 194–216.

[7] - Fershtman,C., and Hoffman,M., Taboos and Identity: Considering the Unthinkable, in: American Economic Journal: Microeconomics 3 (May 2011),pp. 139–140.

[8] - أشيلى مونتاغيو، البدائية، مترجم، الكويت، 1982، ص 16-17

[9] - Sauvet, G., & others, thinking with Animals in Upper Paleolithic Rock Art, in : Cambridge Archaeological Journal, Received 18 Dec 2008 ; Accepted 16 Feb 2009 ; Revised 18 May 2009, pp.1-15.

[10] - Capart, J., Primitive art in Egypt, London, 1905, p. 273, 290

[11] - Lewis-Williams J. D., Putting the record straight : Rock art and shamanism, Archaeological Bulletin, 2003, p.165.

[12] - Hoppál, M., Shamans and symbols prehistory of semiotics art, Budapest, 2013, p.93-94.

[13] - Snow, D.R., "Sexual dimorphism in Upper Paleolithic hand stencils," *Antiquity*, vol. 80, 2006, pp. 390-404.

[14] - Searight, S., The prehistoric rock art of Morocco: a study of its extension, environment and meaning, a thesis for the degree of Doctor of Philosophy, Bournemouth University, January, 2001,p.69; Wang ,J.Z., & Others , Determining the Sexual Identities of Prehistoric Cave Artists using Digitized Handprints ,in: MM, vol.10 , 2010, p. 25–29

[15] - James1, W., & Speaker, K., Rock art and the evolution of human imagination, in:(Deacon,J.,)Editor, The Future of Africa's Past Proceedings of the 2004, TARA Rock Art Conference Nairobi, Trust for African Rock Art, TARA 2005, pp.15-16.

[16] - Gunn, R.G., "Hand sizes in rock art: interpreting the measurements of hand stencils and prints," Rock Art Research, vol. 23, 2006, pp. 97-112.

[17]-حسين عباسى، الوشم لدى قبائل أفريقيا الوسطى: الذات والموضوع، مجلة الثقافة الشعبية الالكترونية، العدد 13، 2011، ص 89.

[18] - Parrinder, E.G., West African Religion, London, 1969, p.12, p.26.

[19]-مسعد بري، تطور الفكر الطوطمي (دراسة في الجغرافية الاجتماعية)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية / قسم الجغرافيا، جامعة حلب، 2010.

[20] - Gumo,S ; & Others , Communicating African Spirituality through Ecology: Challenges and Prospects for the 21st Century, Religions ,2012, 3,p.527.

[21] - Roscoe, J., the Soul of Central Africa, London, 1922, p. 200.

- طه الهاشمي ، تاريخ الأديان وفلسفتها ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت 1963 ، ص 158 .22

[23] - Oman, J., The Natural and the Supernatural, C.U.P., 1931, p.485.

[24] - Awolalu ,J.O., What is African Traditional Religion?, In : Comparative Religion, Vol. 10, No. 2, 1976, pp.1-10.

[25] - أشيلى مونتاغيو، 1982، ص 61.

[26] - Mbiti, J.S., African Religions and Philosophy, Heinemann, 1969, p.1.

[27] - سيغموند فرويد، الطوطم والحرام، مترجم، بيروت، 1997، ص 135-136.

- سيغموند فرود، 1997، ص 10-12.[28]

[29] - سيغموند فرويد، 1997، ص 169-170.

[30] - Margaret,M., An Ethnologist's Footnote to 'Totem and Taboo', The Psychoanalytic Review ,1930,vol. 27,pp.297-304.

[31] - Wasdell,D., The myth of god, London, 1982, pp.31-33.

[32] - سيغموند فرود، 1997، ص 9- 14 .

[33] - Hoppál, M., 2013, p.39.

[34] - Hultkrantz, A., The place of shamanism in the history of religions, in Shamanism: Past and Present, eds. M. Hoppál & O.J. von Sadovszky. Los Angeles, 1989, pp. 43–51.

[35] - الميرا إسماعيل علي، السلالات البشرية ، بيروت، 1982،ص 220

[36] - كامل على ، أساطير الأولين – الشامانية ، مجلة " كتابات " ، 2012 ، ص 1 – 2 .

[37] - Winkelman, M., 'Shamanism as the Original Neurotheology', Zygon, 39, 1, 2004, pp.193-217.

[38] - تم الكشف حديثا عن أقدم دفنة لإمرأة الشامان ترجع للحضارة الناطوفية عثر عليها بالأردن ، السيدة يبلغ عمرها 45 عام – طولها 1.5 م دفنت بعد موتها اسفل لوح حجرى ضخم و دفن معها العديد من الأجزاء الحيوانية وسيقان آدمية ، وكانت تلك الدفنة بملحقاتها واحدة من أهم الدفنات التى أكدت على وجود الشامان (سواء كان رجل أو إمرأة) منذ عصور ما قبل التاريخ فى مختلف الحضارات.

[39] - (no Auther), The dawn of imagination, Rock art in Africa, united nation, 2005, p.10.

[40]- حسين عباسى ، 2011، ص 93 .

[41] - Idowu, E.B., African Traditional Religion, S.C.M., 1973, p.87; Pritchard, E., Theories of Primitive Religion, 1965, p.103ff.

[42] - Daniel M. T., & Navarrete .C.D., "Meat Is Good to Taboo: Dietary Proscriptions as a Product of the Interaction of Psychological Mechanisms and Social Processes, Journal of Cognition and Culture, 3(1), 2003, pp.1–40.

- حسين عباسى ، 2011، ص83- 84.[43]

[44] - Aaron, D., "The Material Culture and Middle Stone Age Origins of Ancient Tattooing". Tattoos and Body Medications in Antiquity: Proceedings of the sessions at the EAA annual meetings in The Hague and Oslo, 2010/11. Zurich Studies in Archaeology, 9, 2013, pp. 15–26 ; Robin, F., Totem and Taboo Reconsidered. In The Structural Study of Myth and Totemism, London, 1967, pp. 161-178

[45] - مبروك بوطقوقة، الوشم لدى قبائل أفريقيا الوسطى: الذات والموضوع، موقع أرنتروبوس، 2014.

[46] - عبد الحكيم خليل سيد أحمد، التجليات الرمزية للوشم فى المعتقد الشعبى بين الخصوصية الثقافية والثقافة الشعبية، المؤتمر الرابع للفن والتراث الشعبى الفلسطينى، فلسطين، 2012، ص 16.

[47] - بركات محمد مراد، فن الوشم، رؤية أنثروبولوجية نفسية، مجلة الثقافة الشعبية، العدد الثالث، عادات وتقاليد، البحرين ، 2011، ص 68.

[48] - Devilloers,A., Certain Aspects of Pioneer Toponymy in South Africa in the Nineteenth, Century. Proceedings of the 8th International Congress of Onomastic Sciences 1963, pp. 568-74

- حسين عباسى ، 2011، ص97.[49]

[50] - Gumo,S ; & Others , Op.Cit.,p.525.

[51] - حسين عباسى ، 2011، 95.

[52] - حسين عباسى ، 2011، 95.

[53] - Walmsley,G., African Philosophy and the Future of Africa Edited , Cultural Heritage and Contemporary Change Series II, Africa, Volume 14, 2011,p.1-2.

[54] - حسين عباسى ، 2011، 90.

- حسين عباسى ، 2011، ص92.[55]

[56] - مروة عبد العليم ، الوشم فى أفريقيا ، مجلة أفريقيا قارتنا ، العدد العاشر ، يناير ، 2014 ، ص 1 – 3.[56]

- حسين عباسى ، 2011، ص94. [57]

[58] - Awolalu, J.O., What is African Traditional Religion ? Studies in Comparative Religion, Vol. 10, No. 2. 1976, pp.1-10.

[59] - حسين عباسى ، 2011، 90.

[60]- Principe,W., "Toward defining spirituality", in : Studies in Religion, 12, (1983) : pp.127–41.

[61] - حسين عباسى ، 2011، ص94.

[62] - عبد الستار البدرانى ، السحر المضاد : دراسة أنثروبولوجية فى المكونات الأولى للقناع ، موقع أرنتروبوس ، ج 2 ، 2014.

[63]- Adams, B., "More Surprises in the Locality HK6 Cemetery", in :" Nekhen News", vol.11, p.4-5.

[64] - حسين عباسى ، 2011، ص94- 95.

[65] - Imale, J., African sculpture from the collection of the society of African missions, New York, 1980, p.46.

[66] - Clarke, C., The Art of A Resource for Educators Africa the metropolitan museum of art, New York, 2006, pp.13-14.

[67] - منى محمد إبراهيم محمد ، المدلول السيكولوجي والشكلي للرموز والأقنعة الأفريقية في فن الباتيك ، مؤتمر كلية التربية الفنية الدولي الرابع (الفنون والتربية في الالفية الثالثة) ، 2013 .

[68] - Marchant R., and Taylor.D., Dynamics of montane forest in central Africa during the late Holocene: a pollen based record from western Uganda. The Holocene 8, 1998, pp. 375-381.

[69] - محمد أنور ، شعب البانتو ، مجلة أفريقيا قارتنا ، العدد السادس عشر ، ابريل ، 2015 ، ص 1-2.

[70] - قبيلة اليوروبا النيجيرية، مجلة أفريقيا قارتنا، العدد الثامن عشر، أكتوبر 2015، ص 1- 3.

[71] - Bird-David, N., ‘Animism’ Revisited: Personhood, Environment, and Relational Epistemology.” Current Anthropology, vol. 40 Supplements, (1999), pp. 67–92 ; Omobola,O.C., An Overview of Taboo and Superstition among the Yoruba of Southwest of Nigeria,ph.D, Mediterranean Journal of Social Sciences Published by MCSER-CEMAS-Sapienza University of Rome, Vol .4 No 2 May, 2013,pp.221 – 226

[72] - حسين عباسى ، 2011، ص 88.

[73]- قبيلة الموريس البدائية، إحدى أغرب القبائل على وجه البسيطة، مجلة أفريقيا قارتنا، العدد العاشر، يناير 2014، ص 1-4 .

[74] - Nyame.G., the Akan , other Africans and the Sirius star system,2008 , p.1-2.

[75]- الدوجون .. من غرائب قبائل دولة مالى ، مجلة أفريقيا قارتنا ، العدد الرابع عشر ، اكتوبر ، 2014 ، ص 3 .

[76] - Agnew, N., and Others, Rock Art A cultural treasure at risk, Los Angeles, 2015, p.13.

[77] - قبيلة البوشمن إمتداد الانسان الأول فى القارة السمراء، مجلة أفريقيا قارتنا، العدد الحادى عشر، مارس 2014، ص3.

[78] - Dowson, T., Debating shamanism in Southern African rock art : time to move on. South African Archaeological Bulletin 2007, 62, pp. 49–61.

[79] - قبيلة البوشمن، 2014، ص5.